الأمثال الشعبية الجزائرية" بالأمثال يتضح المقال

" لعبد الرحمن الحاج صالح–دراسة وصفية دلالية

Algerian folk proverbs, " By proverbs the saying becomes clear " by Abd al-Rahman Hadj Saleh- Semantic descriptive study

د. أسماء بن عيسى

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

جامعة بلحاج بوشعيب لعين تموشنت – الجزائر

benisafasmaa@gmail.com

تاريخ الارسال: 14-04-2021 تاريخ القبول:22-12-2021 تاريخ النشر: 18-06-2022

الملخص:

تعد الأمثال الشعبية عصارة تفكير الشعوب، فهي ذات قيمة اجتماعية كبيرة؛ لكونها تؤثر في سلوكات الأفراد من خلال النصائح والإرشادات،التي يأخذون بها في تنظيم مسار حياتهم،وفي علاقتهم مع الآخرين.

و من هذا المنطلق،سـنتناول واحدا من أبرز المؤلفات ألا وهو كتاب **الأمثال الشـعبية الجزائرية** للساني الحاج صالح من جوانب متعددة تشمل التعريف،والهدف،والمنهج، والمصادر، وغيرها مع التمثيل الدلالي كلما اقتضى السياق ذلك.

الكلمات المفتاحية:عبدالرحمن الحاج صالح،الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة وصفية دلالية.

Abstract:

Popular proverbs are the leachate of peoples 'thinking, as they are of great social value ؛because they affect the behavior of individuals through advice and guidance, which they take in organizing the course of their lives, and in their relationship with others

.From this standpoint, we will deal with one of the most prominent books, which is the book of the Algerian popular proverbs by linguist Hadj Saleh from various aspects that include definition, purpose, approach, sources, and others with semantic representation whenever the context requires it.

Key words: Abd al-Rahman al-Hadj Saleh, Algerian proverbs, Semantic descriptive study.

*المؤلف المراسل: أسماء بن عيسى، الإيميل: benisafasmaa@gmail.com

المقدمة:

لا شـــك في أن الأمثال الشـــعبية وليدة البيئة والمحيط الاجتماعي،حيث تلخص حياة المجتمع الذي تنشـــأ فيه.ومن ثم،هي جزء لا يتجزأ من تاريخ الشـــعوب،التي تعكس قيمها، وعاداتها،و تقاليدها بشكل مقتضب،تقلّ ألفاظه،و لكن تختزن في جنباتها دلالات عميقة تربط بين الحاضر والماضي التراثي،الذي خلّفه الأجداد.

فهي بمثابة الذاكرة،التي تحفظ تجارب المجتمعات،إذ لا تكاد أمّة من الأمم تخلو منها، حيث تمثل كنزا لغويا ثمينا،ومظهرا ثقافيا،يســـتمدّ بنيته من تيمات معرفية عديدة، يمتزج فيها الشعور الصافي بالفكرة في مقام معين.

والأمة الجزائرية واحدة من الأمم،التي تحفل بالأمثال الشـــعبية،والتي تعدّدت مصـــادرها المعرفية، إذ لكلّ منطقة من ربوع الوطن أمثالها، التي يتم تداولها على لسان الأفراد القاطنين بها شفاهةً،من أناسٍ،يتميزون بالحكمة والذكاء،إذ تمتاز بطابعها العامي المشترك،الذي تفقهه جميع الأطياف.

و لعل هذه الميزة ،هي سبب نجاح الأمثال وتفوّقها في الفنون الشعبية إلى جانب الشعر الشعبي،ذلك أن عامية المثل لا تنقص من شأنه،ولا تطعن في قيمته البتة ،بل تزيد من قوته التأثيرية التخاطبية؛لأن الفهم،إنّما يحدث من كثرة اســـتعمال اللهجة المتعارف عليها بين أهل المنطقة الجغرافية الواحدة .

والمثل الشعبي بطبيعته لا يخرج عن المصطلحات،التي اصطلح عليها أفراد مجتمع ما،مما يسهل عملية الاستيعاب الدقيق،ذلك أن كل مدرك للهجته-مهما ضعف مستواه -لن يجد صعوبة في فهم المثل الذي يلقى على مسامعه ،عكس الأمثال الفصيحة التي تتطلب جهدا في فهمها،وفك شفرتها،كما أنها ليست متاحة للجميع، و إنما للمتعلمين منهم الذين يمتلكون ناصية اللغة .

وفي سياق الحديث عن الأمثال الشعبية ، فإنه لا مناص من أن نضع بين يدي القارئ في عجالة مختصرة جملة من المؤلفات البارزة،التي تناولت هذا الفن الشعبي الأدبي في بلادنا، مرتّبةً حسب تاريخ الصدور بدءً بكتاب" **الأمثال الشعبية الجزائرية**" لعبد الملك مرتاض الصادر

سنة1982،ثم كتاب" **أمثال جزائرية**" لعبد الحميد بن هدوقة، الذي صدر سنة 1993، فضلا عن كتاب حديث التأليف،سنة 2016 بعنوان" **موسوعة الأمثال الجزائرية**" لرابح خدوسي.

فكلها مؤلفات غاية في الأهمية ؛كونها تحمي التراث اللساني الجزائري من الضياع ،إذ تشكّل خزانة تراثية أصيلة، تجمع هُويّة الشعب وتخلّد معتقداته وأفكاره،مما لا يسع القارئ – منّا– سوى الوقوف على دراستها شكلاً و مضمونًا ،مثلما سنقوم به في هذه الدراسة عن كتاب "**الأمثال الشعبية الجزائرية**" للعلامة اللساني الراحل الحاج صالح.ومنه نطرح التساؤلات التالية: **ما أصل الكتاب؟ وما الهدف من تأليفه، و ماهو المنهج المتبع فيه؟ وماهي مصادره المعرفية؟ و ما خصائص أمثاله ؟.**

1- مهاد نظري.

حريٌّ بنا قبل أن نفصّل القول في دراسة الكتاب النموذج أن نقف بادئ ذي بدءعند ماهية الموضوع الرئيس ألا و هو "المثل" في اللغة و في الاصطلاح،فضلا عن مفهوم المصطلح الدقيق،أي المثل الشعبي في أفهام الدارسين .

فالمثل كلمةٌ عربية فصيحة،حيث جاء في اللسان لابن منظور (ت711هـ): " المثل: الشيء الذي يُضرب لشيء مثلا فيجعل مثله"[1].كما جاء في القاموس المحيط للفيرزآبادي (ت 817هـ): " المثل محركة الحجة و الحديث،وقد مثل به تمثيلا و امتثله و تمثله به(...) تمثل بالشيء ضربه مثلا"[2].

أما المعجم الوسيط في العصر الحديث، ففيه المثل،هو" جملة من القول مقتطعة من كلام،أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير"[3].

نستشف–إذن– بعد عرض المعاني اللغوية السابقة،أن مفهوم الكلمة لا يخرج عن معنى المشابهة بين شيئين،بحيث يُجعل الشيء تابعا لغيره،وهو ما يقترب من المعنى الاصطلاحي ، ذلك أن المثل في الاصطلاح، هو جعلُ قولٍ شائعٍ،يُسْتَحضر في مقامٍ يشبه المقام الذي قيل فيه للمرة الأولى.

فقد عرّفه إيميل بديع يعقوب،بقوله:"المثل عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلا و مضمونا فتنتشر فيما بينهم،و يتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير،متمثلين بها ،غالبا في حالات مشابهة لما ضرب لها المثل أصلا،و إن جهل هذا الأصل"[4].

و هناك من التعريفات، التي ركزت على شكل المثل، منها على سبيل المثال لا الحصر، أنه" الأسلوب البلاغي القصير، الذائع بالرواية الشفاهية، المبين لقاعدة الذوق، أو السلوك،أو الرأي الشعبي،ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن تطوى في رحابة التشبيهات ،والاستعارات، و الكنايات التقليدية"[5].

أو على قيمته كقولهم:" سجل يتضمن منظومة فكرية تحتوي على مجموعة قيم اجتماعية،تربوية، أخلاقية و سياسية..الخ"[6].

ذلك- إذن- مفهوم المثل بشكل عام،و بتخصيص القول عن المثل الشعبي، نجد بأنه هو الآخر قد شهد تباينا واختلافا في تعريفه، الذي يرجع- من دون شك- إلى تباين مرجعية كل باحث،التي يستند إليها.

فقد عرّفه أحد الدارسين،بأنه" مرآة لتجارب الشعب و بلائه في الحياة والأيام والأحداث و الناس(...) ركيزة ضخمة ينقب فيها الباحث عن آراء الشعب و فلسفته في الحياة وحكمته وأمانيه أيضا وآلامه ورغائبه وأحلامه"[7].

و يرى آخر، بأن الأمثال الشعبية" من أبرز الدلائل على أن التاريخ لا يتحدد بوصفه زمنا ماضيا منقطعا عن الحاضر، أو مستقلا عنه، و أنّ الماضي نفسه عاملٌ مؤثّر في الحاضرو المستقبل"[8].

و من ثم، فإن هذا الفن الأدبي، هو من الخصوصيات الثقافية، التي تتسم بها الشعوب، إذ يحكي مختلف فترات الحياة،التي يعيشها الإنسان،ليقيم جسرا تواصليا بين الأزمنة،ذلك أن المثل الشعبي بكل بساطة في الوصف،هو نتاج الماضي،وصار عبرة للحاضر، وسيستمر في المستقبل .

ثانيا/ الإطار العملي:

يمثّل هذا العنصر عصب الدراسة،إذ سنتناول فيه واحدا من أبرز المؤلفات في هذا المجال كما أسلفنا الذكر ،الذي هو في الحقيقة كتابٌ منسِي حتى لا نقول مهمّش لدى زمرة الدارسين(*)، في ظل الاهتمام الكبير بكتب المؤلّف الأخرى،التي تجمع شتات ما خلّفه من أبحاثٍ لسانية، وضعته ضمن مصاف كبار أعلام البحث اللساني العربي.

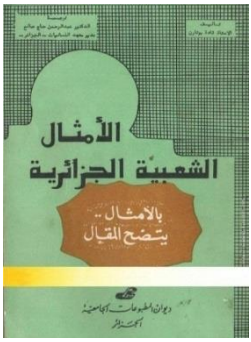

1-التعريف بالكتاب:

صـــــدر هذا المؤلَّف ســـنة 1987عن ديوان المطبوعات الجـامعيـة بـالجزائر ،إذ هو في الأصـــــل كتـابٌ بـالفرنســـيـة **(Proverbes et Dictons Populaires Algériens)**، من تأليف الأستاذ قادة بوتارن(**)، إذ قام بتحقيقه، و ترجمته إلى العربية العلامة اللساني عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله .

فهذا الكنز الثمين، يضمّ أكثر من ألف مثل شعبي جزائري مشهور ،إذ تمّ توجيهه كما جاء في الإهداء إلى" الأجيال الصـــاعدة (...) رجاء أن يجدوا فيه ما يعزز إيمانهم بما يزخر به تراث بلادهم من ثروة فكرية وإنسانية عظيمة"[9].

فهو يجمع بين طيّاته أقوالاً مأثورةً، تنتمي إلى موضوعات شتّى، تندرج ضمن منوّعات الحياة،التي نحياها في علاقتنا مع الآخرين،إذ نقف عليها بالتفصيل في جزئية المنهج، المتبع في عرض المادة المُشَكِّلة لهذا المصنّف الشعبي.

و تجدر الإشارة إلى أن ما جاء به الكاتب الأصلي،هو حصيلة جلسات و استئناس عائلي، إذ شرع في جمعه في سن مبكرة جدّا، عندما كان "يستمع إلى حديث أمه التي تميزت بقوة شخصيتها وولوعها بالأدب الشعبي العربي"[10].

2/ الهدف من التأليف:

مما لاشـك فيه أن تأليف أي كتاب ليس فكرة سـخيفة مهما كان شـكله، مادام المؤلف مقتنعًا بموضوعه الأساس،و على أهبة الاستعداد لتحمّل ثِقل تأليفه،و عندما ينتهي منه يقذف به إلى سوق القراءة و التلقي المعرفي.و لعل هذا هو السبب وراء إشارة المؤلّفين إلى أهميّة ما ينجزونه،ضمن مقدماتهم،من خلال تحديد الهدف من الكتاب.

علما أنها فكرة شائعة منذ الثقافة العربية القديمة،إذ كان المصنفون،يأتون على ذكر سبب التصنيف،بل هي من رؤوس مسائل التأليف،التي لامناص منها آنذاك، و هو ما أكّد عليه،الذين اشتغلوا على الكاتب وأدبه،ممن تشكّل لديهم الوعي بضرورة اتباع سنن خاصة في الكتابة والتأليف .

و بالنظر إلى نموذج الدراسـة،فإنه لم يشـذّ عن هذه القاعدة التأليفية،بل أبانت أسـطره الأولى عن الغاية من تأليف هذا العمل،الذي ترجمه أستاذنا الكبير الحاج صـالح ، ألا وهي مواصلة المسار التأليفي حول موضوع الأمثال الشعبية الجزائرية.

فقد جاء في مقدمته الطويلة التي بلغت أربع صـفحات:" لا ندعي فيه الابتكار و الجدة- فإن قيمته- إن وجدت- إنما تكمن في الحرص على متابعة و تكملة الأعمال التي سـبقنا إليها المميزون من العلماء(...) و قد تطرق إلى هذا الموضـوع الكثير من الباحثين،نخصّ بالذكر منهم: دوماسـو ابن سـديرة وماشـويل و فاتح . و التجيني و بورتو و أحمد وحمزة و عبد الملك مرتاض و مونتيه و الفقيد العلامة محمد بن أبي شنب الذي أسهم بقسط كبير جدا في هذا المجال إذ لم يكتف في كتابه بذكر الأمثال السـائرة في الجزائر بل توسـع أيما توسـع بفضـل علمه الغزير فذكر أيضـا الأمثال الراجحة في العالم العربي بل و العالم الإسلامي،من المغرب حتى الهند"[11]

فالغاية -إذن- هي استمرارية تواصلية في إعطاء نفس طويل للأمثال الشعبية في بلادنا، رغم أن المؤلف قد حصر المنطقة الجغرافية المنقول عنها تلك الكنوز اللسانية، ألا و هي الجنوب الغربي الجزائري.

و ذلك -في اعتقادنا- منطقي إلى حد بعيد؛ لأنه لا يمكن أبدا الإلمام بجميع الأمثال الجزائرية ؛نظرا لاتساع المساحة الجغرافية للوطن،ففي المنطقة الواحدة نلفي آلاف الأمثال،ما

يجعلنا بحاجة إلى تضافر الجهود من أجل موسوعة ضخمة، تخلّدها الأجيال،وإن اقتضى الأمر سنوات من التأليف في سبيل الحفاظ على الموروث الشعبي الجزائري.

3/ المنهجية: عرضًا و دراسةً:

ينقسم الكتاب بداخله إلى ستة أجزاء،إذ يحمل كل جزء منه عنوانا، يمثّل الإطار العام، الذي يتحدّد به ذكر المثل،ثم ينقسم بدوره إلى عدة أبواب، تحمل عناوينًا أيضا، بحيث تتدرج تحتها مجموعة من الأمثال الشعبية.

من ثم، نخلص إلى أنه، يأخذ طريقة معاجم الموضوعات،التي شكّلت النواة الأولى في الثقافة المعجمية العربية،و ذلك في عرض المادة من حيث التقسيم،أما من المنظورِ الحديث، فإن هذا الشكل، يصلح لتطبيق المعايير الدلالية الحديثة ، ذلك أن الكيفية التأليفية، تقترب من نظرية الحقول في علم الدلالة ،التي هي الأخرى تنطبق على الكلمات و المفردات، و لكن نستطيع تطبيقها على عبارات الأمثال–ههنا– بما أنّ الأخيرة تمتلك سمات دلالية مشتركة.

فالأمثال الشـعبية في الكتاب على كثرتها لم توضـع مبعثرةً، و إنما ذات نظام متجانس، يجعل كل مثل شـعبي مرتبط ببابه، الذي هو بمثابة اللكسـيم أو الكلمة الغطاء ،بالمفهوم الدلالي،إذ نعرضها بدءً بالجزء الأول و متعلّقاته في الجدول الآتي:

الباب (اللكسيم)	الأمثال (من–إلى)
القضاء و القدر	من 1 إلى 26
تصاريف الدهر و العناية الإلهية	من 27 إلى 64
الحيرة و الشك و القلق	من 65 إلى 92
المظاهر الخداعة	من 93 إلى 117
الزمان و الصبر	من118 إلى 140
السن و التجربة و رعاية ولي الأمر	من 141 إلى 165

فهذه الأبواب بأمثالها، تقع تحت موضوع" **الحياة و نواميسها**" ،إذ نضرب مثالاً لكلِّ بابٍ بدءً بمسألة القضاء و القدر، وهو ما تعلّق بعلم الله جلّ في علاه السابق، وما سيجري في المستقبل،أي إرادته الأزلية في إيجاد الأشياء والعوالم و الأحداث وما شابه،إذ يردّد الجزائريون أمثالاً شعبيّةً كثيرة، تثبت إيمانهم بقضاء الله و قدره.

فمن الأمثال الواردة في الكتاب على سبيل المثال لا الحصر، ذلك المثل القائل" **اللّي ماشي مكتوبة من الفمّ تطيح** "[12]؛ بمعنى أن الذي لم يكتبه الله تعالى لك يسقط من فمك، و ذلك على سبيل المجاز في اللهجة الشعبية الجزائرية.

فغالبا ما يستعمل هذا المثل ،ضمن سياق المواساة و مشاطرة الآخر،في إحساسه" في حالة ضياع شيء أو الفشل في آخر لحظة في قضية من القضايا"[13].

وعن تصاريف الدهر و العناية الإلهية؛ أي نوائب الحياة ، وتدخّل الله تعالى لصرفها ، فنضرب المثال " **بين الثريد و الثريد عند ربي ما يريد**"[14]،الذي يتميز بطابعه المجازي شأن سابقه،إذ يكمن معناه، في أنه بين الشيء و الشيء تتحقّق مشيئة الله.

فهو يقال في مقام المواساة أيضا للإنسان، حتى" لا ييأس و لو في حالات اليأس الشديد لأن الله سبحانه و تعالى قادر على أن يفرج عليه في أي وقت، و في لحظة من الزمن يغير الأحوال"[15].

وما تعلق بالحيرة و الشك و القلق ، و هي معطيات نفسية مزعجة، تسيطر على الإنسان في كثير من المواقف، فنستحضر من الأمثلة الشعبية في الكتاب" **خلّيها في جواها حتى يبانْ دْواهَا**"[16]، أي أُترك المشكلة كما هي حتى يأتي حلّها.

فهذا المثل الجزائري يقال " للتعبير عن القلق الشديد الذي يعانيه الإنسان حين لا يجد حلاّ لمشاكله، و يشقّ عليه مع ذلك أن يبوح بذلك، فيكتمها سرا و يقلّبها في فكره ريثما يأتي الفرج"[17]. و عن باقي الأبواب (اللكسيمات) مرتبة،فنعرض أمثلتها مرفوقةً بنطقها الفصيح مع الإشارة إلى المقام،الذي تقال فيه في الجدول الآتي:

المكْسِـــي بمْتـاعْ النَّـاسْ عَرْيَانْ	من لبس ثياب غيره مجرّد من اللباس.	يقال هذا المثل لمن يســـتحوذ علـى أمـلاك غيـره ليـتمـتـع و يفاخر بها[18]
الي يبغي حَـاجْتَـهْ يَرْقُـدْ عليها	من ابتغى شـــيئا نام عليه (مجـازا)؛ بمعنى يـأخـذ الوقت الكافي للحصـــول عليه.	يقال هذا المثل لمن يهدف إلى أمر، فلا ينبغي أن يغفل عليه، بل يصـــبر على تحقيقه ولو طال الزمن[19].
القلـب الّي مـا يْغِيرْ مـا يَسْتَاهَلْ حتى قُفة شْعِيرْ	القلب الخـالي من الكرامـة لا يســـتحق حتى قفة من الشعير.	يقال هذا المثال لمن هو مجرّد من الحماس والحمية، إذ يُطلقه عادةً الأولياء في حالـة اليأس من طفلهم ،الـذي لم يُبْـدِ أي طموح للتخلّص من العزلــة و الخروج منها[20]

و عن الجزء الثاني من المؤلَّف، فيعالج موضـــوع " **العلاقات الاجتماعية**" ، أي الروابط و الآثار المتبادلة بين الناس،إذ يتكون من عدّة أمثال على شـــاكلة الأول، التي نســـتعرض أبوابهاأيضا في الجدول التالي:

الباب (اللكسيم)	الأمثال(من– إلى)
شريعة الأقوياء	من 166إلى 200
الوفاء	من 201إلى 228
الصداقة	من 229 إلى255
الفعالية	من 256إلى 275
اليقظة و الحذر و اللامبالاة	من 276إلى 320
عرفان الجميل و نكرانه	من 321إلى357

فهذه الأبواب أو اللكسيمات ، نضرب مثالاً لكلّ بابٍ منها، بدءً بشريعة الأقوياء المثل القائل" **إذا تْصَاكَّتْ الخَيْل تجي فالضعيف**"[21]؛بمعنى أنّه إذا تصارعت و تضاربت الخيول بينها،فالذي يتضرر هو الضعيف.

فهذا المثل الشعبي، يأتي للدلالة على وجوب" أن يكون الفرد قويّا حتى يتحمل المصائب حيثما جاءت(...)و يذكرابن شنب(...) وجها آخر له:تصاكت الخيل و جاءت الضربة في الحمار"[22].

و عن الوفاء ،الذي هو خصلة اجتماعية خُلُقية عظيمة في الإنسان ، فنضرب له مثالا كما جاء في الكتاب، ذلك المثل الشعبي، الذي يقول:" **لي كبرو ولاده يَرجعْ لَبْلاَده**" [23]، إذ له علاقة مباشرة بالاغتراب عن الوطن وتركه.

فمن الدوافع الأساسية لهذه الخطوة الجريئة،التي يتخذّها المرء في لحظة من لحظات الحياة هو" أمل الشخص في توفير كل ما يحتاج إليه أولاده و هم صغار، لكن بعد أن يتم ذلك و يكبر الأطفال، يصبح الاغتراب لا مبرر له"[24]. فعليه أن يعود من باب الوفاء لوطنه.

وما تعلق بالصداقة، التي تكون بين طرفين أو أكثر، إذ هي مبنية على ميزة الحب و الإخلاص و نبذ الكراهية، فمثالها قولهم" **خوك من واتاك ماهو من والاك**"[25]؛أي أخوك الذي يحبك، و ليس الذي من صلب أمك و أبيك.

فهذا المثل الشعبي، يذكر في سياق تفاعلي مدحي، أي" لمدح المحبة الصادقة، فقد يفضل الصديق الوفي على الأخ من الأب و الأم"[26]. و عن باقي الأبواب(اللكسيمات) مرتبة ، فنعرض أمثلتها مرفوقةً بالنطق الفصيح ، مع الإشارة إلى المقام، الذي تقال فيه في الجدول الآتي:

مَايَصْلَحْ لا لَلْعَادَة و لاَ لَلْعْبَادَة	مَا يَصْلُحُ لَا للعَادَةِ ولاَ للعِبَادَةِ	يقال هذا المثل للذي لايصلح سواء للأمور الدنيوية أو الأمور الآخروية[27].
اَلْحَذَرْ يَغْلَبْ القْدر	الحَذَرْ يَغْلِبُ القَدَرْ	يقال هذا المثل للحثّ على الحيطة في الأمور[28].

جيـتْ نْعَـاوْنَـهْ في قَبْر أُمَّهْ هْرَبْ لي بالفاس	جئت أســـاعده في حفر قبر أمه فســرق لي مجرفتي	يقال هذا المثل عند حدوث حالة نكراء من الجحود، فيعد من أســـوء نكران الجميل[29].

و عن الجزء الثالث ،فيعالج موضوع " **في السلوك**"،أي كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال و نشاطات،إذ يتكون من عدة أمثال، التي نستعرض أبوابها(اللكسيمات) في الجدول الآتي:

الباب (اللكسيم)	الأمثال(من– إلى)
التربية و العادات و التقاليد	من 358إلى 391
عزة النفس	من392إلى 417
الجود و الاستقامة	من 418إلى 445
الحكمة	من446إلى 486
العقل السليم	من487إلى512
آداب السلوى و اللباقة	من 513إلى 541

فهذه الأبواب أو اللكسيمات، نضرب مثالاً لكلّ بابٍ منها بدءً بالتربية والعادات و التقاليد ،أي مجموع القيم المستمدة من عادات المجتمع و تقاليده المثل القائل " **زورو تنوروا**"[30]،الذي يرتبط بطقوس زيارة الأضرحة في الجزائر .

فمـن الناحيـة الدلاليـة " يفهـم مـن هـذا الكـلام أن زيـارة قبـور مـن يعتقـد فـيهم الـولاء لله يجلـب الخيـر، ويـردده غالبـا هـؤلاء الـذين يـدعون هـذا الـولاء أو سـلالتهم فيسـتغلون بذلك سذاجة الناس البسطاء"[31].

و عن عزة النفس، التي تعني الارتفاع عن كل ما يقلّل من قيمة الشـــخص، وينقص من شـــأنه، فنضـــرب لها مثالا كما جاء في الكتاب المثل الشـــعبي" **الطَّلْبَة غَلْبة لوكانْ في بلادْ الغُرْبَة**"[32]،الذي يقال في سياق الرفض القاطع للتسول.

فهذه العبارة كما يبدو من معناها، تستعمل في سياق التنديد " تنديدا باتا بالتسول ومد اليد"[33] ، استجابة للنهي عن هذه الظاهرة القبيحة و المحرّمة في الإسلام، التي تسيء للفرد والمجتمع.

وما تعلق بالجود و الاستقامة ، أي الكرم و السلوك القويم ،الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المؤمن، فنكتفي بالمثال " **أنا منْ عيَالْكُم و ربّي يسَالْكُمْ**"[34]. الذي يطلق على لسان الحيوان مجازا للاستعطاف .

فالقط هو المقصود، الذي يقول هذا عندما يموء على أهل البيت في جوعه وعطشه، و من ثم " فإن الحيوانات الأليفة تعامل عند المسلمين مثل أفراد الأسرة"[35]. فهذه الاستجابة هي سخاء وسلوك إسلامي مستقيم.

أما عن باقي الأبواب(اللكسيمات) مرتبة ، فنعرض أمثلتها مرفوقة بالنطق الفصيح مع الإشارة إلى المقام، الذي تقال فيه في الجدول الآتي:

أنا ما نورّيك و أَنْتَ ما يَخْفَاكْ	أنا لا أريك و أنت لا يخفى عليك	يقال هذا المثل باعتبار الصديق الأنيس الذي يتميز باللباقة لا تخفى عليه حال صاحبه[36].
الفارس بْلاَ سْلاَحْ كالطيرْ بْلَا جْنَاحْ	الفارس بدون سلاح كالطير بدون جناح	يقال هذا المثل للدلالة على أنه مثلما لايستطيع الطائرالطيران دون جناح ، فالفارس لا يستطيع القتال دون سلاح. مما يؤكد حب العرب للأسلحة[37] .
اللي فاتَهْ الكْلاَمْ قال سمعت، واللي فَاتَهْ الطْعَامْ قال شْبَعْتْ	من لم يدرك الكلام يتظاهر بالسماع، و من	فمن اللباقة أن لا نفرض على الناس إعادة الكلام، كما لا

	لم يدرك الطعام يتظاهر بالشبع	نفرض على أهل البيت إعادة الطبخ مجددا[38].

و عن الجزء الرابع، فيعالج موضوع " **العائلة**" التي تعدّ الخلية الأساسية المكونة لأفراد المجتمع ،إذ يتكون من عدة أمثال،التي نستعرض أبوابها (اللكسيمات) في الجدول الآتي:

الباب (اللكسيم)	الأمثال(من– إلى)
المرأة	من542إلى 575
الزواج	من 576إلى 620
الورثة	من 621إلى 637
علاقة الآباء بالأبناء	من 638إلى 664
الدعاء بالخير و الشر	من 665إلى 691

فهذه الأبواب أو اللكسيمات، نضرب مثالا لكل بابٍ منها بدءً بالمرأة أنثى الإنسان البالغة المثل القائل" **بعض النسا كلمتهم ما تتنسى ومرقتهم ما تتحسى**"[39]، إذ يذكر في سياق التنديد بالشرّ العظيم الصادر عن المرأة. فبعض النساء قد " يكون أقوالهن في غيرهن أضر من أي ضرر آخر كما يمكن أن يكون مرقهن أسوأ الأطعمة"[40].

و عن الزواج، الذي يعدّ رباطا مقدّسًا أساسه المودة و الرحمة، فنضرب له مثالا كما جاء في الكتاب ذلك المثل القائل" **إذا عطاوهالكم جيبوها على حمار**"[41]،الذي يقال في سياق خروج الزوجة من بيت زوجها غاضبةً باتجاه بيت الأهل، ثم رجوعها بتدخّل كبار السن و الشيوخ.

فهذا المقول يأتي" على لسان الزوج المتشوق إلى زوجته، و الراغب في عودتها إلى البيت بفارغ الصبر. و لايبالي بالشكليات"[42].

و ما تعلق بالورثة التي هي –هنا– التشابه و توارث الصفات، فمنها قولهم" **النّار تْخلّف الرْمادْ**" [43] ، الذي يستعمل في صلة الابن بأبيه.

فهذا المثل الشعبي الذائع الصيت بين أوساط الناس، يستحضر "للتأكيد على أن الولد الفلاني لم يرث شيئا من خصال أبيه الحميدة(...) ابن شنب(...) يستبدل" تخلّف" ب" تولد"

و المعنى واحد"[44]. و عن باقي الأبواب(اللكسيمات) مرتبة، فنعرض أمثلتها مرفوقة بالنطق الفصيح مع الإشارة إلى المقام الذي تقال فيه في الجدول الآتي:

بنيان الطين لا تعلّيه يعيا و يطيح ساسه	بنيان الطين لا تعليه لأنه سينهار	يقال هذا المثل لتحذير الناس من تربية أبناء الغير،لأنها تفضي إلى الخيبة لذا حرّمت الشريعة الإسلامية التبني[45]
يعطيك صحّة البغل ما يْكَلِّ ما يْمَلُّ(دعاء الخير)	منحك الله صحة البغل لا يكلّ و لا يملّ(مجازا)	يقال هذا المثل للدعاء بالصحة التامة للمدعو له[46]
يعطيك السلّ الدّايم و مرض القْوَايَمْ	منحك الله مرض السل الدائم و مرض الجسد.	يقال هذا المثل كشرّ ما يمكن أن يتمناه لاعنٌ على ملعونِهِ ألا و هو مرض لايسكن دائما[47]

و عن الجزء الخامس فيعالج موضوع" **الإنسان= المحاسن و المساوئ**" ،إذ هما صفتان على طرفي نقيض ، ليتكون من عدة أمثال، التي نستعرض أبوابها أيضا في الجدول الآتي:

الباب (اللكسيم)	**الأمثال(من- إلى)**
الإحساس بالمسؤولية و الأهلية	من 692إلى 745
المحاسن	من 746إلى 780
المساوئ	من781إلى 841

فهذه الأبواب أو اللكسيمات، نضرب مثالا لكل بابٍ منها بدءً بالإحساس بالمسؤولية والأهلية، أي قدرة الفرد على تحمّل نتائج أفعاله ،و أن يكون أهلا لفعل الشيء، إذ نستحضر المثل القائل " **الحديدة تحمى من الرأس**"[48]، الذي يستعمل ضمن سياقه المرتبط بالحكام، الذين يحكمون الشعوب.

فهذه العبارة المشحونة و المكثّفة تطلق للدلالة السياسية على أن" مصير الشعب منوط باقتدار حكامه على الحكم"[49].

و عن المحاسن ، أي زينة الفعل، فمثاله كما جاء في الكتاب المثل القائل "**أخدم يا صغري لكبري و أخدم يا كبري لقبري**"[50]، إذ يذكر في سياق الرزق و الادخار مرفوقا بما هو صالح من الأفعال يوم مقابلة الله عز وجل. فهو" يحضّ الناس على أن يرتزقوا و أن يدخروا و في نفس الوقت على العمل الصالح، استعدادا وذخرا للقاء ربهم"[51].

وما تعلق بالمساوئ ، أي قبح الفعل، فقد قيل على سبيل المثال "**الأبرة تكسي غيرها وهي عريانة**"[52] ، إذ يذكر في سياق الحديث عن البخل و ما يفعله البخلاء ،الذين يقضون حياتهم في جمع الأموال. فهذا المثل الشعبي الاجتماعي يضرب للبخيل " الذي يكتنز الأموال ثم يتركها بعد وفاته فيستفيد بها غيره"[53].

و عن الجزء السادس الأخير، فيعالج موضوعا متنوعا يجمع بين الصفات المتمثلة في **السخرية و الدعاية و التهكم** ،إذ يتكون من عدة أمثال إلا أن الأمر يختلف تماما عن ما سبق، ذلك أن المقولات الشعبية كلها تندرج تحت لكسيم رئيسي واحد، يحمل العنوان نفسه الذي وُسِم به الجزء.

بيد أنه بإمكاننا أن نستحضر بعض النماذج من الأمثال الشعبية و دلالاتها بدءً بالمثل " **بات ليلة في دار الدباغ أصبح قرْبة**"[54] ، إذ يضرب في سياق الاستهزاء من شخص متسرع في قضاء حاجته. فهو ملاحظة" توجه باستهزاء إلى الإنسان الذي يريد أن يحقق ما يطمح إليه من أخصر الطرق و أسرعها فيكتفي بالاستعداد المتعجل و التكوين السريع"[55].

و من الأمثلة أيضا، ذلك المثل القائل" ***البغل ماينسى الصكة*** **واليهودي مايقصد مكة**"[56] ، في مواجهة شخص يصعب التخلص من العيوب المتراكمة فيه، إذ يحمل هذا

القول مشابهة بين صورتين،ليكمن وجه الشبه في الثبات على الشيء. فهو يطلق على الذي من الصعب عليه، بل " يكاد من المحال أن يتخلص من عيوبه التي ورثها عن غيره"[57].

و نضيف مثالا آخرا هو قولهم " **منين ربي يحبّ يسخط النملة يديرلها جنحين**"[58]، إذ يوظف هذا المثل الشعبي للاستهزاء أيضا من شخص منقلب إلى حال أفضل جرّده من ذاته الأصلية. فهو في معناه و سياقه " يضرب للوصولي الحديث النعمة الذي تغريه الحالة الجديدة التي هو فيها فتأخذه نشوة إلى درجة فقدان صفاته الذاتية و اتخاذ صفات أخرى تجعله هزأة للناس"[59].

تلك- إذن- منهجية الكتاب في التقسيم، و التي نضيف إليها ما يخص مسألة الترتيب،إذ تم اعتماد الألفبائية كما جاء ذكره في المقدمة،إلا أنهاقد جاءت متذبذبة، فتارة يلتزم بها المؤلف و تارة أخرى يحيد، إلا أن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب البتة.

4/ مصادر الأمثال الشعبية في الكتاب:

إن القارئ للأمثال الشعبية الواردة في الكتاب، يجد بأنها تستمد مرجعيتها من مصادر معرفية متنوعة، إذ نذكر منها بعض المصادر مرفوقةً بمثال توضيحي واحد بدء بالقرآن الكريم،الذي هوعمادُ الإسلام ،وأكمل منهج للحياة الإنسانية لدى المسلمين، الذي يعمل على هدايتهم و موعظتهم ، و مادامت الأمثال تهدف إلى إصلاح طباع البشر ، فإنه لا غرابة في كون بعض الأمثال ضمن الكتاب، تقترب في معناها من آيات الذكر الحكيم.

و من أمثلة ذلك المثل القائل: " **أبواب الله واسعة**"[60] ، إذ يتناص مع قوله تعالى {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}[61]، بمعنى أن قدرة الله عز وجل ممدودة و ليست محدودة، إذ يكفينا أن نتضرع له و ندعوه في أي وقت نشاء، فهو السميع العليم.

أما أساسُ الإسلام الثاني ،الذي يعدّ هو الآخر مصدرَ تعليمٍ للأخلاق الحميدة، إذ نذكر تمثيلا المثل، الذي يقول " **ربي خْلَقْ الدّا و الدْوا**"[62]، إذ يتناص مع الحديث النبوي الشريف "***ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاءً***" [63].

ففي القولين الديني و الشعبي إثباتٌ لفكرة أن المنافع و المضار، التي يتعرض لها الإنسان في حياته كلها بقضاء الله و قدره، الذي يعلم بها و ينفذها بمشيئته.

وأخيرا القصص الشعبية،هي تلك القصص، التي تُحكى بأسلوب سردي مشوّق ، إذ تستهدف نقل معاني مفيدة جدا، و لنا في الكتاب النموذج أمثالاً شعبية كثيرة، تستند إلى هذا المصدر المعرفي، منها قولهم " **الخيرة فيما اختار الله**"[64].

فهذا المثل، يرتبط بقصة تراثية بطلها الملك وويزه الصالح ،الذي كان يرضى دائما بما قسمه الله بقوله " **الخيرة فيما اختاره الله**"، إلا أنه ذات مرة ردّدها في موقف كان فيه الملك عرضة لمكروه ؛ عندما جرح أصبعه بسكين لحظة تقطيع الفاكهة، فغضب منه غضبا شديدا، و أمر بزجه في السجن ، ليكون ذلك عقابا له.

و بعد أيام خرج الملك للصيد ،فابتعد كثيرا، ليدخل في قرية تعبد النار ، فأمسكوا به ليكون قربانا لآلهتهم ، ولما جرّدوه من ملابسه ليقذفوا به في النار لاحظوا ذلك الجرح الغائر في أصبعه، فاستبعدوه ، ذلك أن القربان، ينبغي أن يكون سليما ليس به أية عاهة أو نقص، ليعود إلى بلده، و تذكر كلام الوزير أن الخيرة فيما اختاره الله.

و من ثم أمر بإخراجه من السجن، و هو على يقين بأن الجرح اختاره الله له، ليكون له سببا في النجاة من الموت المحتم، كما بادر بسؤال وزيره عن خيرة الله في دخوله هو الآخر إلى السجن، فأجاب قائلا: أن حبسه كان سببا في نجاته كذلك كونه لم يذهب مع الملك في رحلته[65].

5/ خصائص الأمثال الشعبية في الكتاب:

بعد عرضنا لجملة من الأمثال الشعبية فيما سبق، و كذا اطلاعنا على أمثال أخرى في الكتاب ، بإمكاننا أن نستخلص مجموعة من الخصائص و المواصفات، التي تتميز بها أبرزها الإيجاز والكثافة الدلالية، والفصاحة، فضلا عن البراعة و الدقة.

فقد وردت الأمثال الشعبية قليلة اللفظ وموجزة، إلا أنها كثيرة المعاني و ذات حمولة دلالية كثيفة. كما أنها في الغالب مفردات فصيحة، لدرجة أنه أحيانا يكمن الاختلاف في النطق فقط.

بالإضافة إلى البراعة في الصياغة و التشكيل، و الدقة في نقل المعنى، أي الرسالة الموجهة إلى المتلقي.

كما نضـــيف خاصـــية أخرى، تجعلها مشـــتركة مع جميع الأمثال في أي منطقة كانت، و في أي مصـــنف، يعالج موضـــوع" المثل الشـــعبي"ألا و هي مجهولية المؤلف، الذي حتى و إن وجد، فإنه يبقى مثار شكٍ نظرا لتأخر التدوين؛ لأن الأمثال أوّل ما تداولت شفاهةً .

خاتمة:

ختاما،فإنّ هذه الدراســـة ماهي إلا مســـاهمة متواضـــعة منا ،في خدمة التراث الشـــعبي الجزائري؛عن طريق توجيه عناية الدارســـين، صـــوب مؤلَّف أقل ما يقال عنه أنه كنزٌ ثمينٌ، يجمع دررا، نظمت عقودها من الأمثال المحلية، التي تتداولها ألسنة أبناء وطننا الحبيب ، إذ تحمل قيما أخلاقية، تدعو لما فيه الخير والصلاح، في العيش و التعامل مع الناس.

و عليه بعد الاحتكاك بهذا المنجز الشـــعبي ، فإننا نخلص إلى جملة من النتائج التي نختزلها في النقاط التالية:

*الأمثال الشـعبية المحلية لسـان حال المجتمع الجزائري بما تعكسـه من سـلوكاتٍ هي مرآةُ قيمهم وعاداتهم و تقاليدهم.

* تتميز الأمثال الشـعبية الجزائرية بحسـن الإيقاع ، إذ تسـود مقاطعها الموسـيقى اللفظية.
*تتميز الأمثال الشـــعبية الجزائرية بدقة لغتها ، و محكم ســـبكها، الذي يظهر في الاعتدال و التناسب بين أجزائها.

* تتميز الأمثال الشعبية الجزائرية بالإيجاز، و كثافة المعنى ، فضلا عن استعمال المفردات العربية الفصيحة.

و من نافلة القول أن هذا الكتاب لا يزال بكرا من حيث التناول، و نقترح أن تكون هناك دراســـات أكاديمية جادة، تعنى به من الناحية اللســـانية والأنثربولوجبة و الســـوســـيولوجية ، و غيرها مما يخدم البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

الهوامش:

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت،ط1، لبنان، 2000،مادة(مثل).

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ضبط و توثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر ،(د.ط)، بيروت لبنان،2010،مادة(مثل).

[3].إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية،ط4، القاهرة، 2001،مادة(المثل).

[4]مجموعة من الباحثين، صفوة الكتاب في الآداب و اللغات، دار خالد اللحياني للنشر و التوزيع، ط1، عمان، 2017،ص159.

[5]أسامة حامد الفرماوي، الأمثال و التعبيرات الشعبية..قصة الحياة..قصة الأمس، المجلة العربية ، العدد523، أبريل2020، الموقع الإلكتروني:

http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=5339، اطلع عليه يوم14أفريل سنة2021.

[6] مختارية بن عابد، الأبعاد الاجتماعية و الأسرية في الأمثال الشعبية الجزائرية، مجلة الكلم، جامعة وهران، مج4، العدد 2، ديسمبر 2019،ص36.

[7]محمد سعيدي، صورة العمل و دلالاته الاجتماعية و الثقافية في المثل الشعبي الجزائري، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية و الثقافية، العدد1، 1997،ص25.

[8]عبد الوهاب سويسي، حجاجية الترغيب في العمل و التحضيض عليه: المثل الشعبي التونسي أنموذجا، مجلة تبيين للدراسات الفكرية و الثقافية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، العدد26، خريف 2018،ص36.

[*]وجدنا دراسة واحدة هي رسالة دكتوراه، تتناول الكتاب بشكل يختلف عن دراستنا، إذ ترتكز على مسألة الترجمة بعنوان: *ترجمة الأمثال الشعبية* الجزائرية بين الحرفية و التكافئ من العربية الى الفرنسية *كتاب*" بالأمثال يتضح المقال *لقادة بوتارن* نموذجا–دراسة تحليلية نقدية.(ملحوظة: الباحثة تناولت الكتاب الأصل، ونحن تناولنا ترجمة الأستاذ حاج صالح رحمه الله).

[**] كاتب جزائري وباحث من مواليد سنة 1907 بولاية البيض، أبعد عن الجزائر سنة 1956، ثم عين واليا بعد الاستقلال لولاية الشلف، ثم عنابة. له عدة مؤلفات منها قدور شاهد طفل جزائري شاهد أوائل القرن ال20، قدور مراهق جزائري في الذكرى المائوية للاحتلال، دليلة وسي عزوز و غيرها.

[9]قادة بوتارن،الأمثال الشعبية الجزائرية(بالأمثال يتضح المقال) ، ترجمة: عبد الرحمن الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987،ص1.

[10]حمداش شافية، *ترجمة الأمثال الشعبية* الجزائرية بين الحرفية و التكافئ من العربية الى الفرنسية *كتاب*" بالأمثال يتضح المقال *لقادة بوتارن* نموذجا-دراسة تحليلية نقدية، بحث مقدم لنيل درجة ماجستير ، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية الآداب و اللغات-قسم الترجمة، 2009،ص86.

[11] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية(بالأمثال يتضح المقال)،ص3.

[12]المرجع نفسه،ص12.

[13] المرجع نفسه،ص.ن.

[14] المرجع نفسه،ص18.

[15] المرجع نفسه،ص.ن.

[16] المرجع نفسه،ص28.

[17] المرجع نفسه،ص.ن

[18]ينظر : المرجع نفسه،ص32.

[19]ينظر : المرجع نفسه،ص38.

[20] ينظر :المرجع نفسه،ص43.

[21] المرجع نفسه،ص51.

[22] المرجع نفسه،ص.ن.

[23] المرجع نفسه،ص59.

[24] المرجع نفسه،ص.ن.

[25] المرجع نفسه،ص67.

[26] المرجع نفسه،ص.ن.

[27] ينظر :المرجع نفسه،ص73.

[28] ينظر :المرجع نفسه،ص75.

[29] ينظر :المرجع نفسه،ص86.

[30] المرجع نفسه،ص99.

[31] المرجع نفسه،ص.ن.

[32] المرجع نفسه،ص103.

[33] المرجع نفسه،ص.ن.

[34] المرجع نفسه،ص110.

[35] المرجع نفسه،ص.ن.

[36] ينظر :المرجع نفسه،ص115.

[37] ينظر :المرجع نفسه،ص126.

[38] ينظر :المرجع نفسه،ص133.

[39] المرجع نفسه،ص144.

[40] المرجع نفسه،ص.ن.

[41] المرجع نفسه،ص149.

[42] المرجع نفسه،ص.ن.

[43] المرجع نفسه،ص160.

[44] المرجع نفسه،ص.ن.

[45] ينظر :المرجع نفسه،ص165.

[46] ينظر :المرجع نفسه،ص170.

[47] ينظر :المرجع نفسه،ص173.

[48] المرجع نفسه،ص178.

[49] المرجع نفسه،ص.ن.

[50] المرجع نفسه،ص193.

[51] المرجع نفسه،ص.ن.

[52] المرجع نفسه،ص204.

[53] المرجع نفسه،ص.ن.

[54] المرجع نفسه،ص224.

[55] المرجع نفسه،ص.ن.

[56] المرجع نفسه،ص220.

[57] المرجع نفسه،ص.ن.

[58] المرجع نفسه،ص241.

[59] المرجع نفسه،ص.ن.

[60] المرجع نفسه،ص15.

[61] سورة الأعراف،ص156.

[62] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية(بالأمثال يتضح المقال)،ص186.

[63] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير،دمشق-بيروت، ط1، 2002، رقم الحديث 5678.

[64] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية(بالأمثال يتضح المقال)،ص10.

[65]ينظر:رباب جودة، قصة الخيرة فيما اختاره الله،2017/10/5، الموقع الإلكتروني،https://www.qssas.com/story/7948(بتصرف).اطلع عليه يوم 14أفريل 2021.